مقدمة المترجم*

لقد دخل التليفزيون، ذلك الجهاز العجيب منازلنا، وشغل به صغارنا والشباب، ولم يبتعد عنه كثير من كبار السن فينا، نساؤهم والرجال. وأصبح من المسلَّم به أنه لا يخلو بيت -في الخليج- من جهاز.. وفي بعض الأحيان أكثر من جهاز، حتى في حجرات النوم.. !!

ورغم أننا نحن الذين اشتريناه، ودفعنا ثمنه، واستدعينا برامجه المختلفة.. الجيدة والرديئة، وجعلناها مائدة عامرة لا تنفض ولا تنتهي أمام أفراد أسرنا، إلا أننا بدأنا نصرخ من النتائج التي ما توقعناها، ومن الآثار التي ما حسبنا لها حساباً، ولا أعددنا لها أطفالاً ولا شباباً.. !!

* الدكتور محمد عبد العليم مرسي أستاذ التربية، بقسم التربية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

وازداد الأمر خطورة حين ألحقنا بالتلفزيون جهازاً آخر . . هو الفيديو . . وبدل أن كنا نشكو أموراً محلية نختلف عليها أو نتفق مما تسمح به أجهزة الإعلام كي يبث خلال قنوات التلفزيون المحلية، أصبحت أفلام الفيديو- وهي كلها مستوردة من عوالم الأجانب الذين يختلفون عنا ديناً . . وقيماً وتقاليد، وما جاء منها من بلدان عربية أسوأ في تقليده ومحاكاته من الغرب الذي نحذر منه . . !!

وأصبح الإقبال على محلات الفيديو لشراء الأشرطة يمثل «عادة» أسبوعية، أدمن عليها آلاف الشباب في بلاد الخليج، وتسربت من حياتهم ساعات بالملايين -دون مبالغة- يقضونها في كسل غريب، وخدر مميت، أمام ذلك الجهاز.

وبعد إهدار تلك الأوقات الكثيرة خرج علينا أنماط من الشباب ممسوخو الشخصية من جراء ما شاهدوا، وحاولوا التقليد فما وعوا، ودخلت حياتنا أنماط من الميوعة لا تليق بالرجال، وبخاصة في مجتمعات تريد أن تعوض ما فاتها، وأن تقف على أقدامها بين المتقدمين.

كما ظهرت أنواع من الممارسات المنحرفة التي أقبلت

على المخدرات والمسكرات دفعت بأصحابها إلى أنواع من الجرائم. . أبسطها السرقات، وبعضها وصل إلى قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

ونظر بعض منا، خاصة من الغيورين على أمتهم، إلى المستقبل القريب، فرأوا أننا مستهدفون من جانب أعداد من الدول التي ما فتئت تدبر لنا وتكيد، وسمعوا وقرؤوا عن «البث المباشر» المنتظر ومخاطر وصوله إلى بيوتنا، وحاول البعض أن يهون من الأمر دون النظر في عواقب الأمور ومخاطرها.

والخلاصة. . أننا أصبحنا في دوامة لا نعرف لأنفسنا منها خروجاً، فلا نحن بقادرين على إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء، بحيث نحذر أنفسنا من دخول التلفزيون إلى بلادنا وبيوتنا، ولا نحن بقادرين على أن نطلب من أفراد المجتمع أن يغلقوا ذلك الجهاز في بيوتهم، ولو فعلنا ما استجابوا. وغاب عنا جميعاً أن ذلك الجهاز يمكن أن يكون مفيداً ونافعاً إلى أبعد الحدود بشرط واحد. . وهذا الشرط هو تربية «الإنسان ليتعامل» معه.

إن الإنسان هو الأساس في كل أمر، وهو الأساس في

كل شيء، وتربيته هي العنصر الوحيد الفعال في كل ذلك، فلقد وُجدَ السلاح على وجه الأرض -بشكل أو بآخر- منذ هبط الإنسان على ظهرها، ولكن أمر استخدامه.. في الخير أو الشر بقي مرهوناً بمعتقدات من يحمله وقيمه، وبمن يعرف الحلال والحرام، والله سبحانه وتعالى أمر المسلمين بأن يعدوا للكفار والمشركين ما استطاعوا، ولكنه حرم عليهم قتل النفس.. أي نفس.. إلا بالحق.

ولقد قاتل المسلمون الكفار والمشركين، دفاعاً عن الدين الإسلامي، ونشراً له، في مشارق الأرض ومغاربها، وما سمعنا.. ولا قرأنا.. أن جيوش المسلمين في فتوحاتها قد أحرقت قرية على من فيها، كما فعلت دول كبرى يدعي أهلها التحضر، وما سمعنا.. ولا قرأنا.. عن اغتصاب للفتيات والنساء كما فعلت قوات الدول الكبرى، بل دول قميئة، حين ملكت السلاح... إنه حتى المشركون كانوا آمنين في حمى المسلمين الأقوياء ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾**﴾ [التوبة: ٦]..

إذن هو الإنسان . . بدينه ومعتقده . . بقيمه وتربيته . . هو الذي يستطيع أن يقف في وجه الفساد والانحراف والزيغ والضلال، ومن هنا إذا أردنا أن نحارب رذيلة، وأن نقاوم بدعة، وأن نقف في وجه انحراف، وأن نمنع مفسدة . . إذا أردنا كل ذلك . . فما علينا إلا أن نتجه للإنسان نقوّمه ونربيه، نقوي يقينه ونوسع أفق مداركه، ومن بعد ذلك «نلقيه في اليم» ولا نخاف. إن تربية هذا الإنسان التربية الإسلامية الصحيحة جعلته هو «الرقيب» على نفسه فيما يشاهد وفيما لا يشاهد، وخذوا العبرة من أمر الله -سبحانه وتعالى- للمسلمين بالصوم، حيث يمتنعون عن الطعام والشراب والجماع الحلال، امتثالاً لأوامر الله لهم بذلك، علماً بأنه لا يراهم إلا هو جلت قدرته، فلماذا لا نربي أبناءنا على الطريق نفسه التي أمرنا الله . . بحيث يكون الزجر للنفس . . من داخلها، والامتثال لأوامر الحلال والحرام . . من ذاتها . . ؟

إننا إن فعلنا ذلك قضينا على الشر في مهده، وأوقفنا تجارة لشياطين الإنس، وجعلناها عرضة للبوار. إني لا أسرُّ حين أعلم أن بعض أهل الغيرة من المسلمين قد أحرقوا عدداً من الشرائط الفاضحة، ولقد كنت سأفرح لو أن جهودنا

اتجهت لتربية الشباب أكثر. إن من يُحْرَقُ له محل كامل من محلات الأشرطة يستطيع استيراد غيره وتعويضه.. والشباب هم الذين يدفعون.. أما إن حصنّا الشباب -بداية- فقد أغلقنا باباً من أبواب الشياطين، وحرمناهم قطف الثمار، وحمينا البيت والمدرسة.. والمجتمع..

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا، والذي كتبه مفكر أمريكي خبير في التربية والتلفزيون، أقدمه لأبناء أمتي، مراعياً فيه حديث رسول الله ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها»... وقطعاً هناك أمور نختلف فيها مع المؤلف، ولكن -على وجه اليقين كذلك- هناك أمور يمكن أن نفيد منها، ومن بينها:

- يسأل المؤلف سؤالاً عميقاً حول تنشئة الأطفال، ومن الذي تعهد إليه هذه المهمة -في أمريكا طبعاً- فيقول هل سنترك أطفالنا للتليفزيون كي ينشّئهم لنا..؟

ولعلي أضيف أنا من جانبي أمراً آخر لنا هنا في الخليج، لقد ترك نفر كثير من أهل الخليج أمر تنشئة أطفالهم للمربية الأجنبية، فإذا أضيف إلى ذلك ترك الأطفال للتليفزيون كي يسهم في تنشئتهم، فكم يبقى لنا من الأثر في تربية هؤلاء

الأطفال؟ خاصة وقد تأكدنا من الآثار السلبية للمربية الأجنبية، وقد كتب حولها الكثير*.

- يسأل المؤلف سؤالاً مهماً عن الوقت الذي يقضيه الأطفال أمام التليفزيون كل يوم، ويجيب نفسه قائلاً: إنه يتراوح بين ٥-٦ ساعات يومياً، وإن الكبار يمضون أمامه ٤ ساعات. ثم يقول إن هذه الأرقام عبارة عن معدلات ومعنى ذلك أن هناك أفراداً يقلون عن ذلك، ومن ثم هناك أفراد يزيدون عن ذلك، فهل حسبنا نحن في بلادنا الساعات التي يقضيها أطفالنا أمام التليفزيون، وهل قارنا هذا الوقت -أمانة بيننا وبين أنفسنا- بالوقت الذي نقضيه نحن معهم يومياً.. إن كنا حقاً نفعل ذلك..؟

- كثيرون منا يتهمون التليفزيون بأنه هو العنصر الوحيد المسؤول عن تدني التحصيل الدراسي لكثير من أطفالنا، وهو وراء عدم انتباههم لمعلميهم في المدارس.

والواقع أن ذلك الاتهام غير عادل، ولكن كثيرين منا

* من أراد الاستزادة من هذا الجانب المفزع -فعلاً- فعليه أن يرجع لما كتب فيه خلال السنوات القليلة الماضية، ومن بينه كتاب للمترجم بعنوان: التربية ومشكلات المجتمع في دول الخليج العربية، مشكلة العمالة الأجنبية (معالجة إسلامية)، عالم الكتب، الرياض، ١٤٠٩هـ.

يستسهلونه، وبخاصة بعض المعلمين. إن التلفيزيون قد يكون له آثار سلبية في التحصيل الدراسي (وينبغي أن تثبت لنا الدراسات الميدانية ذلك حتى يكون كلامنا عن علم) ولكن هل التليفزيون -حقاً- هو المسؤول **الوحيد** عن ذلك.. ؟؟

هل نعفي المعلم من جزء من المسؤولية.. ؟ وهل نعفي المنهج غير الملائم.. ؟ وهل نعفي الحشو الزائد في تلك المناهج.. ؟ وهل طرق التدريس المستخدمة معفاة من المسؤولية.. ؟ هل الأسرة لها علاقة بهذا الموضوع، أم أنها ألقت بحملها على أبواب المدرسة وأعفت نفسها -دون وجه حق- من المساءلة.. ؟ وإذا كان كل أولئك شركاء في المسؤولية فماذا الإشارة بأصبع الاتهام للتليفزيون.. وحده.. ؟؟!!

- إننا لو سلمنا بأن التليفزيون هو **الفاعل الوحيد** لكل التهم التي نتهمه بها مثل: الانحرافات الأخلاقية - وضياع القيم - وهبوط مستوى التحصيل الدراسي - وضعف الأطفال في القراءة.. بل وانصرافهم عنها أصلاً - وتفكك الأسرة.. إلخ، أقول لو سلمنا بأن التليفزيون (اللعين) خلف كل أولئك، فلعلنا نسأل أنفسنا سؤالاً نعتقد وجاهته وهو:

لو رفعنا أجهزة التليفزيون من منازلنا -وهذا سؤال افتراضي بطبيعة الحال- هل ستصلح جميع أحوالنا، بحيث تعود القيم الطيبة فوراً لمعاملاتنا، وتتوقف الخلافات الأسرية، ويتقدم الأولاد في دراستهم، ويزداد إقبالهم على القراءة... إلخ، إن تعليق قضايانا.. أو مشكلاتنا الاجتماعية على عنصر واحد أو أحادي أمرٌ ينافي العلم، كما أن فيه تسطيحاً وتبسيطاً للأمور ينبغي أن نتبعد عنه، خاصة إذا كنا جادين في مواجهة تلك المشكلات وإيجاد حلول علمية عملية لها.

- إذا كنا نعترض على كثير مما يبث عبر قنوات التليفزيون، ونرى أنها تدفع بأبنائنا إلى مسالك لا نرضى عنها، فلماذا لا نكون إيجابيين ويكون لنا رأي نعلنه صراحة للمسؤولين عن أجهزة التليفزيون في بلادنا، من خلال خطابات صريحة نكتبها لهم، أو من خلال نشر آرائنا في الصحف والمجلات التي نقرأها ويقرأونها كذلك..؟

إننا بصمتنا.. وسلبيتنا إنما نعطيهم انطباعات مؤداها أننا راضون عما يفعلون، بل ربما سعداء بما يقدمون... ومن هنا -بصراحة- لا ينبغي أن نلومهم هم.. بل نحن الملومون..!!

- لماذا لا نطالب -نحن المشاهدين- أقول: لماذا لا نطالب العاملين في أجهزة التليفزيون بأن يكثروا من البرامج الإصلاحية التي تحارب الكسل.. والإهمال.. والتسيب.. والرشوة.. وجميع أنواع الانحراف، بحيث يصبح الجهاز (المنحرف) جهازاً للوقاية وللعلاج في آن واحد، وبحيث نوقف الإحساس بأن ذلك الجهاز القابع في كل بيوتنا هو «عدو لنا»، ويتحول إلى إحساس بأنه جهاز نافع ومفيد ومعين لنا على تربية أبنائنا وتنشئتهم.

- ينصح المؤلف الآباء والأمهات بألا يتركوا أطفالهم لمشاهدة التليفزيون مشاهدة غير هادفة، وغير مركزة. بمعنى أننا لا نقول لهم مثلاً: مسموح لكم مشاهدة التليفزيون ثلاث ساعات في اليوم أو أربعاً، ولكن ينبغي أن نكون واعين لنوعية البرامج التي نسمح لهم بمشاهدتها، ومعنى ذلك أننا ينبغي أن نعرف مسبقاً ما سوف يشاهدونه، وأن نجهد أنفسنا في ذلك.. ونتحمله، تماماً مثلما ننصحهم بقراءة كتاب جيد.. بعينه، ونمنعهم من تصفح كتاب فيه فكر منحرف.

ومن جانب آخر هناك كلمة خلف الكلام السابق، أي الانتقاء في المشاهدة، وهي أننا بانتقاء ما يشاهده الأطفال

نكسب أمراً آخر ، حيث سنوفر كثيراً من الوقت، لأن البرامج الجيدة حقاً . . نادرة .

– لعلنا ننظر لأنفسنا في المرآة، ونواجهها بصراحة، إننا إن فعلنا ذلك فقد نعدل من سلوكياتنا نحن، كما قد نقلل من لوم أطفالنا، ولنسأل أنفسنا سؤالاً صريحاً عن البرامج التي نشاهدها، وعن الأوقات التي نضيعها أمام التليفزيون . إن الأبناء يقلدون الآباء . . دون شك، والتقليد أمر يعرفه التربويون كثيراً، ويعرفون آثاره .

وأخيراً . .

هذه نظرات في مشاهدة التليفزيون، وفي آثاره في الأطفال وتنشئتهم، وفي مسؤولية الأسرة، والمدرسة، والمجتمع حيال ذلك الجهاز الذي دخل كل بيت، وأثر في كل فرد .

وقد تعودنا في علاجنا لمشكلاتنا الاجتماعية أن نعود إلى مؤسساتنا التربوية نستلهمها الحلول، ونأمل منها أن ترينا الطريق، وأن تبين لنا الاتجاه الصحيح، فإذا كان منا من يعد التليفزيون «نقمة» من النقم، فأين دور مؤسساتنا التربوية في تحويله إلى «نعمة» نستفيد منها . . بسمةً خالصة . . وضحكةً من الأعماق لموقف تمثيلي بريء طريف . . وعبرة تاريخيةً من

أجداد عظام صنعوا التاريخ . . وحكمةً بالغة من شيخ جليل يبين لنا الحلال من الحرام . . وعلماً فياضاً من عالم متبحر يبين لنا عظمة الخالق -جل وعلا- في الكون من خلال خلية حية تتحرك، أو زهرة تتفتح، أو بذرة تنبت، أو سمكة صغيرة تخرج من بيضة، أو طائر يهاجر آلاف الكيلومترات في رحلة رسمها له خالق الكون جل وعلا . . إلخ .

لماذا لا نحول التليفزيون في مجتمعاتنا إلى سلاسل لا تنتهي من الخبرات العربية . . لنا ولأطفالنا . . نعرف منه عن أنفسنا . . وعن الآخرين . . عن مشكلاتنا وكيف نعالجها، وعن عوالم الآخرين وكيف نتعامل معهم، عن ثقافتنا . . وثقافاتهم، لنعرف قيمة ما عندنا فنعضَّ عليه بالنواجذ .

إن التليفزيون يمكن أن نحوله إلى نعمة نحمد الله من خلالها، إذا عرفنا كيف نستخدمه، وكيف نتعامل معه، ولو عرفنا كيف نربي أبناءنا على مشاهدته والتعامل مع مواقفه من موقع المسؤولية، والتربية الصحيحة . . وإن علينا فقط أن نهتم . . وأن نحول اهتمامنا . . إلى فعل، وأن نبذل الجهد المطلوب . .

والله من وراء القصد . . وهو الهادي إلى سواء السبيل سبحانه

بسم الله الرحمن الرحيم

صدر هذا الكتاب منذ بضع سنوات في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي الدولة التي توجد بها أكبر شبكات التليفزيون العالمية، وكذا حيث توجد أكثر محطات التليفزيون لدى أية أمة أو دولة على وجه الأرض، فحسب إحصاءات عام ١٩٩٠م يوجد بها ١٢٤٧ محطة تليفزيون، تبث ملايين الساعات على مدار الساعة، لأفراد الشعب الأمريكي، كما أنها تصدِّر ساعات تليفزيونية بالآلاف على شكل برامج منوعة لدول العالم المختلفة، وجزء منها كبير يصل إلى بيوتنا نحن.. حيث فلذات أكبادنا.

والكتاب صادر عن مؤسسة Phi Delta Kappa التربوية، ضمن سلسلتها التثقيفية الطيبة التي تستكتب فيها العلماء في مجال التربية، الذين يكتبون مقدمين علمهم وخبرتهم وتجربتهم في موضوعات تهم القارى المثقف الذي

يعرف قيمة التربية ويتحقق من أثرها في حياة المجتمع -أي مجتمع- والذي يدرك دور التربية في ازدهار المجتمع وتقدمه، وكذا دورها في الحفاظ على قيمه وكيانه كله.

مؤلف الكتاب:

هو د. «ديفيد إنجلاند David A. England»، أستاذ المناهج بجامعة ولاية لويزيانا، في مدينة Batan Rouge، الذي اشتهر ببحوثه العلمية ومقالاته الهادفة في ميداني الأطفال والتليفزيون.

والرجل إلى جانب عمله الجامعي يعمل مستشاراً في مجال التليفزيون والأطفال لكثير من الهيئات والمؤسسات، وهو كذلك عضو في المجلس الوطني الأمريكي الخاص بوسائل الاتصال والإعلام، وقد ترأس لجنة خاصة يتعلق عملها «بثقافة التليفزيون Television Literacy»، كما أنه مستشار للعديد من الجهات المهتمة بمجال التربية والتليفزيون Television Education. وقد كان له حضور واضح في كثير من البرامج والمؤتمرات الوطنية التي تبنى خلالها الدفاع عن الاستخدام المسؤول للتليفزيون.. في البيت والمدرسة.

وفي الوقت الذي كان فيه «إنجلاند» يدرِّس في جامعة ولاية فيرجينيا الغربية West Virginia University قام هو و«ساندرا دي كوستا Sandra De Cista» بوضع مقرر دراسي مدته أربع ساعات يدرسه طلاب الدراسات العليا من المعلمين، وكان المحور الأساس لهذا المقرر يدور حول «مشكلات وإمكانات التليفزيون في حياة الأطفال». ولقد كان هذا المقرر واحداً من المقررات النادرة التي عرفت بتعرضها الجاد للجوانب الإيجابية والسلبية لتأثيرات الدعاية التجارية في التليفزيون.

وإضافة إلى عمله في مجال «التربية والتلفيزيون» نجده ذا إسهامات في مجال تخصصه العام الذي هو «تدريس اللغة الإنجليزية» كما أن له نشاطاته، خلال الصيف خاصة، حيث يشترك في معسكر للأطفال يتعلق بفنون اللغة ويديره، ورغم كتاباته الناقدة للتليفزيون إلا أنه يعترف بأنه يستمتع بهذا الجهاز السحري في مناسبات كثيرة هو وزوجته وبناتهما الثلاث.

موضوعات الكتاب :

* لماذا هذا الاهتمام الكبير فيما يتعلق بالتليفزيون والأطفال . . ؟

* ماذا يقلق المعلمين في موضوع التليفزيون والأطفال . . ؟

* محاولة لفهم التليفزيون في ثقافتنا (الأمريكية طبعاً) .

* التليفزيون والقدرة على التأثير .

* التليفزيون سارق الوقت TV the time stealer .

* التليفزيون والخبرة الممتدة . . أو الموسعة .

* توصيات لتطوير منهج تربوي تليفزيوني في المدارس .

* بعض القواعد التربوية في استخدام التليفزيون . . للآباء والأمهات .

ولعلنا بعد ذلك نقوم -سوياً- لنستعرض ما كتبه د . إنجلاند، ذلك الخبير التربوي التليفزيوني، فعسى أن يكون فيه شيء من نفع، ولو بعض نفع، آملين أن نكون على الدرب الصحيح الذي استنَّه لنا سيد الخلق أجمعين، حين دلنا على أن «الحكمة ضالة المؤمن . . أنى وجدها فهو أحق الناس بها» .